

لبنان والارادة المستترة

نماية عام (٢٠٠١)، فستظهر زيادة في احتياط مصرف لبنان...". كما اطلع على تقرير بنك عودة القائل: "... مما اضطر مصرف لبنان للتدخل فتراجعت احتياطاته الاجمالية بما يقارب ٢,١ مليار دولار...". لكن التراجع، وفقاً لتقارير مصرف لبنان، بلغ نحو مليار دولار. فتساءل لماذا يصبح الرقم عندنا وجهة نظر؟ ولماذا لا نتكلم عن الاحتياط الصافي بدلاً من "الاحتياطيات الاجمالية"؟ ولما سمع حاكم مصرف لبنان يقول: "ارقام الاحتياط الصافي هي سر من اسرار الدولة" تذكر القول: "ان ظن احد ان لا مسؤولية عليه فلأنه لم يبحث عنها". وتبين له ان الدولة صرفت منذ العام ١٩٩٣ ما يقارب ٥١ مليار دولار مكونة من ١٨,٥ مليار دولار كإيرادات رسمية و٢٨ مليار دولار كدين عام و٤,٥ مليارات دولار كقروض لتمويل قسم من مشاريع الاعمار. وتبين له ان مبلغاً قدره ١,٩ مليار دولار قد صرف من الاحتياط لدعم سعر الليرة او "تحقيق الاستقرار" وتأمين نفقات الدولة خلال العام (٢٠٠١)، وان الدولة استدانته في الفترة ذاتها مبلغاً قدره ١,٤٥ مليار دولار بالعملة الاجنبية، وذلك بمعدل فائدة (١٠,١ في المئة، اي نحو ٥ مرات سعر الفائدة العالمي.

وفوجئ بأن فوائد الدين العام في العام (٢٠٠١) تجاوزت ٣ مليارات دولار، وان متوسط إيرادات الدولة (اي دخلها) هو نحو ٢٣١ مليون دولار بينما متوسط كلفة الفائدة هو نحو ٢٣٧ مليون دولار شهرياً. لكن صدمته الكبرى كانت حين اكتشف ان الاحتياط الصافي لمصرف لبنان هو قرابة ٦٥ مليون دولار وذلك في احسن الاحوال وبناء على ارقام المصرف نفسه، ودون اجتهاد معين قد يجعل الوضع اشد سوءاً. لكنه عاد لسمعهم يرددون ايضاً وايضاً: لبنان ليس الارجنطين.

خطة الطوارئ

وبما انه استنتج ان الدولة اصبحت عاجزة عن الاستمرار في تحمل عبء الاستدانة، وان المصارف دخلت في مرحلة حرجة تتعم عليها اتخاذ اجراءات غير اعتيادية لتجنب غرق السفينة بمن فيها، اصبحت ضروريا ان يشترك الجميع في مهمة الانقاذ، الا اذا كان الدائن لا يهمله استرجاع دينه والمدين لا يهمله مصير بلاده.

ولذا، فتفتق ذهنه عن خطة طوارئ، اعتقد انها ملحة وضرورية تجنبا لسيناريو الارجنطين، خاصة بعدما قرأ ما قاله الرئيس الحريري: "اعتقد ان نموذج الارجنطين نموذج خاطيء... وهذا ليس تثبيتا لسعر الصرف انما هو محافظة على الاستقرار... ولأن هذا الاستقرار يحقق فوائد كبيرة وعظيمة للشعب اللبناني"... ("النهار" ٣ كانون الثاني ٢٠٠٢). فقدم الاقتراحات الآتية:

سندات الخزينة

تظهر الارقام ان المكتتبين الاساسيين في هذه السندات هم المصارف اللبنانية، وتثبت ان ما يسمى "ديناً خارجياً" هو فعلاً "دين داخلي" ولكن بالعملة الاجنبية. وتبين ان بضعة مصارف حققت عائدات قدرها نحو ١ مليار دولار عام ٢٠٠٠ نتيجة لتوظيفاتها في سندات الخزينة. وبما ان زهاء ٥٧ في المئة من دين الدولة يعود لهذه المصارف، وبما ان عائداتها من الدين العام تجاوزت ١,٧ مليار دولار عام (٢٠٠٠)، وبما ان هذه العائدات تجاوزت ١٦,٢ في المئة كمعدل سنوي لكل الفئات (١٩٩٣-٢٠٠١) في الوقت الذي لم يتعد فيه معدل عائدات سندات الخزينة الاميركية ٦ في المئة للفترة ذاتها، وبما ان حاكم الخزينة الاميركية قام بخفض معدل الفائدة (١١ مرة خلال العام (٢٠٠١) من ٦,٥ في المئة الى ١,٧٥ في المئة، في وقت يستدين فيه لبنان من مصارفه "الوطنية" بمعدل يتجاوز ١٠ في المئة حالياً، وبما ان المستفيدين الرئيسيين من عائدات سندات الخزينة هم كبار

ابتسم المستشار بمرارة وهو يقرأ تعليق المسؤول العربي الكبير على دراسة جدوى اقتصادية أعدها له حول مشروع استثماري تنموي في بلد ذلك المسؤول: "يا دكتور، الوطن عزيز لكنه غير مستقر...". وابتسامته المريرة هذه نابعة من اعتقاده بأن قدرة التعبد لآلهة تخذله دوماً (كما يقول ادوارد سعيد). تخذله لانها تفشل في تحقيق ما تدعيه، فيفشل هو في ان يكون كبير الكهنة في معابدها. ويحرم حتى نعمة التغني بعلمه "لان الثري في عين نفسه حكيم".

ولذلك قرر الاستقالة، وراح يعمل لدى مسؤولين لبنانيين قالوا له انهم يؤمنون ببلدهم وباستقراره، وما هم فعلياً يستثمرون في الخليوي، وفي مشاريع عقارية كبيرة، وفي سندات الخزينة وغيرها. ولقد تأثر باستشهاد احدهم بقول شارل ديغول: "تكون الوطنية عندما يأتي حبك لوطنك في المرتبة الاولى". لقد كان حاضراً فكراً وجسداً اثناء التحضير لمشروع الخليوي، وفي قرار تثبيت سعر النقد وفي اصدارات سندات الخزينة. وتواردت الى ذهنه آنذاك افكار حول تضارب المصالح كون بعض المسؤولين في الدولة هم ايضاً من المستثمرين. وتساءل هل كانت ستنهال العملة لو قدر لسعر الفائدة ان يكون اقل؟ وهل كانت ستتأثر حركة الاستثمار سلباً لو صمم مشروع الخليوي في شكل آخر؟ كان يعرف ان هناك شوائب واطاراً، لكنه سمعهم يقولون: "البلد طالع من حرب".

فغض النظر وقال لنفسه: هذه تفاصيل واقتصاد السوق يقتضي ذلك. الى ان جاءت مسألة الارجنطين واثرت الناس فاستقال اربعة رؤساء وحكوماتهم. وبما انه كان قد درس لدى استاذ اقتصاد السوق "ان الاستقرار هو من العوامل المشجعة للاستثمار"، (وليست الجالبة) كما كان يحلو له ان يصحح للمسؤولين، محاولاً بهرهم بعلمه، ومخافة ان يحصل في لبنان ما حصل في الارجنطين، حصر العجالة الآتية للمسؤولين:

بين لبنان والارجنطين

تسببت ثلاث مشاكل رئيسية مزمنة باندلاع ازمة الارجنطين وفقاً للمحللين الاقتصاديين (مجلة "تايم"، ٢٠ كانون الاول ٢٠٠١):

- ١- ربط العملة الوطنية بالدولار وتثبيتها، مما اثر سلباً في الصادرات الارجنطينية وفي الاستثمار الاجنبي المباشر كذلك.
- ٢- اعتماد الدولة على الدين العام مما جعل كلفة الدين مرهقة للقطاعين العام والخاص.
- ٣- اعتماد الخصخصة للمرافق العامة مما رفع سعر خدماتها فوق طاقة المواطن.

هذا هو الوضع في لبنان ايضاً، اضع اليه هذه المقارنة:
عجز الموازنة في الارجنطين = ٣,٨ في المئة وفي لبنان = ٢٥ في المئة من الدخل القومي.
الدين العام في الارجنطين = ٥٣,٧ في المئة وفي لبنان = ١٧٥ في المئة من الدخل القومي.

واوجه التشابه كثيرة في نسب البطالة، وضمور الطبقة الوسطى وغلو الطبقة السياسية. ويكمن التحدي للارجنطين في وضع موازنة تعكس قدرة البلاد، والحفاظ على النظام المصرفي وخفض العملة كما فعلت المكسيك عام ١٩٩٥ والبرازيل عام ١٩٩٩. ولعل هذه التحديات هي التي دعت الرئيس ادواردو دوهادلي للقول: "الارجنطين مفلسة وغريقة". وهذه الملاحظة في نظر الاقتصاديين دليل امل وتصميم لانها تشكل اعترافاً بالواقع. لكنه سمعهم يقولون: لبنان ليس الارجنطين.

الاكتشاف الصدمة

وقرأ تصريح الوزير السنيورة: "اعتقد انه اذا قرأنا موازنة مصرف لبنان في

لبنان والارادة المستترة (تتمة)

جرى في الأرجنتين.

المسؤول اذا اهتم

اهتم المسؤولون بما قدمه المستشار واستدعوه لمناقشة اقتراحاته. فطلب منه ابدال كلمة خطة بتعبير آخر، مذكرين بقناعتهم ان الدول استغنت "عما يسمى خطة". كما شرحوا له ان سيناريو الأرجنتين غير وارد لان الدولة قامت بصرف و/اولم تتمكن من جمع الاموال الآتية:

* اجمالي التهرب الضريبي والتأخير في تحصيل عائدات التسويات والمخالفات: ٥ مليارات دولار منذ العام ١٩٩٣ (الفارق بين الواردات المقدرة والمحقة).

* تقديرات اجتماعية الى مؤسسات انسانية، دينية، وذات ارتباطات سياسية: ٤٢١ مليون دولار منذ العام ١٩٩٣.

* تقديرات صحية ذات ابعاد انسانية وسياسية: ٩٣٣ مليون دولار منذ العام ١٩٩٣.

* منح دراسية لموظفي الدولة: ١٥٠ مليون دولار في العام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١ (وادنى من هذا الرقم بقليل سنوياً عن الاعوام الماضية).

* رواتب المعلمين الفائضين: ٥٣ مليون دولار في العام ٢٠٠١.

* رواتب موظفي وزارة الاعلام الفائضين: ٦ ملايين دولار تقريباً سنوياً.

* رواتب ٣٦ مدير عام وموظفي درجة اولى احيلوا على الاستياداع: ١,٥ مليون دولار سنوياً تقريباً.

ولم ينس المسؤولون ان يذكروا بأن في لبنان نحو ٨٠٠ الف هاتف خليوي و٩٠٠ الف سيارة خاصة واكثر من مليون مغترب، وسيلاً من الحياة الليلية واعادة ازدهار لزراعة المخدرات، مما يؤكد وجود مداخل دول الحاجة لاعمال مضيئة وخاصة ان معدل ساعات العمل للفرد في لبنان لا يتجاوز ٣٥ ساعة اسبوعياً.

وشدد المسؤولون على ان ابواب منازلهم مفتوحة للمواطنين الذين يصرون على زيارتهم رغم اعتذاراتهم المتكررة عن عدم استقبالهم في الاعياد. تبرع المسؤولون له بهذه الشروح تجنباً لاذخ القرارات الصعبة، "فالامل شكل من اشكال التفكير". ولم ينسوا ان يكتبوا له على مسودة خطة الطوارئ: "يا دكتور، الوطن عزيز ومستقر ونحن كذلك". وقال لنفسه: هذا هو اذا "التحالف الجهني" بين ما يسمى "المواطن" وما يسمى "المسؤول" على ما يجب ان يكون "دولة".

بين الكلام والارقام

وراحت الاسئلة تضج في رأسه مجدداً. ماذا عن تحريك العجلة الاقتصادية، وما هي اهم الشركات الصناعية تصرف عمالها؟ وكيف نتكلم عن تحقيق موازنة عام ٢٠٠١ وهناك انخفاض قدره نحو ٦٠٠ مليون دولار بين ارقام الايرادات المقدرة في الموازنة والارقام المحققة؟ وهل التزمت الحكومة فعلاً اصول المحاسبة وادخلت كل ما هو متوجبات عليها في عام استحقاقه؟ والى متى تستطيع الدولة تمويل عجزها عن مواجهة قصور ادارتها؟ واية توقعات للسنة ٢٠٠٢، سنة التفاؤل، ما دامت هذه هي نتائج (٢٠٠١)، عام تحريك العجلة الاقتصادية؟ والذي ربما كان من اهم انجازاته ارتفاع عدد السياح بنسبة ٢٠ في المئة (وفقاً لارقام وزارة السياحة) وحجم الاستيراد بنسبة ١٣ في المئة (ربما استباقاً لتطبيق الضريبة) اضافة الى فرض حزام الامان؟

طوى اوراقه واغلق كتب الاقتصاد، مردداً قول جبران "المخطئ لا يأتي الخبيثة الا بارادة مستترة من المجتمع". وكتب لزملائه المستشارين خلاصة تجربته متندماً وناصحاً لهم بالتعبد للحقيقة دون غيرها مذكراً بالقول: "اذا امتد الجشع الى نفوس العلماء فسدت اخلاق الجهلاء". نعم، لبنان ليس الأرجنتين. ولكن الى متى؟

جواد نديم عدرة

المصرفيين وبيع مئات من كبار المودعين، وبما ان ٠,٥ في المئة من المودعين (نحو ٧٣٠٠ حساب تعود الى اقل من ٢٠٠٠ شخص) يملكون ٤٥ في المئة من ودائع المصارف او نحو ١٨ مليار دولار، ولا تقتضي مصلحتهم سقوط المدين تحت وطأة الديون، لذا ينتظر منهم المساهمة المباشرة في خطة الطوارئ (مصلحياً ووطنياً)، عبر اعادة هيكله الدين طوعاً سواء بواسطة خفض الفوائد، او عبر الضريبة المباشرة، او عبر الاكتتاب بسندات الخزينة من دون عائدات، بحيث لا ينقص الوفر السنوي عن الخزينة عن ١ مليار دولار.

الخليوي

يبدو ان المستثمرين قد حققوا دخلاً اجمالياً قدره زهاء ٢,٧ مليار دولار بعد حسم حصة الدولة بين العام ١٩٩٥ و٢٠٠٠ والبالغة نحو ١,١ مليار دولار. وقد قامت الدولة بفسخ العقد قبل عام واحد من حقها بـ٤٠ في المئة وعامين بـ٥٠ في المئة من الداخل الاجمالي، وقبل ٤ اعوام من حقها باسترداد المشروع كله. وبما ان الدخل الاجمالي المتوقع سنوياً يتجاوز ٨٠٠ مليون دولار، ونظراً لان ظروف منح المشروع لم تكتنفها الشفافية مما الحق الاجحاف بالدولة، وبما ان الخلاف مع الشركتين قد جمد لأذار ٢٠٠٢: يقرر المستثمرون في مجلس ادارتهم ابلاغ ذاتهم في مجلسي النواب والوزراء بقرارهم وموافقتهم على تقديم موعد تطبيق نسبة الـ٥٠ في المئة بدءاً من اول سنة ٢٠٠٢. وهذا ما سيؤمن دخلاً اضافياً للخزينة بنحو ٣٠٠ مليون دولار في ٢٠٠٢، مقابل ان تعفى الدولة الشركتين من امر تحصيل ٦٠٠ مليون دولار وتسترد المشروع بكامله بعد عامين. وخلال هذه الفترة يتم درس مشروع الخليوي بموضوعية لا تؤذي المستثمرين او الدولة.

الكهرباء

تقوم مؤسسة الكهرباء بتركيب العدادات اللازمة خلال ٣ اشهر يساعدها وتواكبها القوى الامنية، وتحصل جميع الفواتير المتأخرة بحيث تحقق دخلاً اضافياً يقارب ٤٠٠ مليون دولار سنوياً.

بدايات الحل الاعجوبة

اعجب المستشار بالمحصلة النهائية لخطة الطوارئ، كونه، وباقتراحات بديهية، استطاع ان يخفض العجز الى نحو ٢٥ في المئة في ٢٠٠٢، وذلك عبر الوفر الآتي: سندات خزينة: ١ مليار دولار، هاتف خليوي: ٣٠٠ مليون دولار وكهرباء: ٤٠٠ مليون دولار. كل هذا دون احتساب تسويات الاملاك العامة والمخالفات ودون الاشارة الى فائض الموظفين، والتهرب من الضريبة وغيرها من ابواب الاهدار.

القطاع العام والقضاء

لم ينس المستشار ان يذكّر بان الخطة هذه هي للطوارئ وان الحل الجذري يكمن في اصلاح الادارة العامة وتحقيق استقلالية القضاء. ولذا اقترح ان يجتمع الـ١٢٨ نائبا و١٧ من كبار رجال الدين ليوقعوا ميثاق شرف يعلنون فيه التزامهم حرفياً وتسيدهم لكل من: المادة الاولى من القانون رقم ١٥٤ (قانون الاثراء غير المشروع)، والمادة السابعة من الدستور اللبناني "كل اللبنانيين سواء لدى القانون وهم يتمتعون بالسواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحملون الفرائض والواجبات العامة دونما فرق بينهم". وكذلك دعوة مجلس النواب للموافقة على مشروع قانون السلطة القضائية المستقلة والذي لا يزال قيد الدرس منذ العام ١٩٩٩، واصدار قانون ضريبة عادل وصارم. انتهت الخطة، دون ان ينسى المستشار كتابة العبارة الآتية: حذار ما

مدار آسيا

مشبوهة. واصبح البحث عن "موقع الضربة التالية" مقبولاً و"شرعياً" مثل البحث عن غرفة في فندق شرط ان تكون بعيدة عن الضجيج. وفيما كانت اميركا منكبة على افغانستان بكل قواها، ارتأى عشرون رجلاً من "جند محمد" ان يهاجموا البرلمان الهندي في قلب دلهي، برلمان اكبر دولة ديموقراطية في التاريخ. من ارسل هذه الدبابيس المفزعة لضرب مليار هندي؟ كهف آخر؟ معتم آخر اراد ان يضر بالقضية الكشميرية ويعيدها ستين عاماً الى الخلف؟ ثمة من يرمي العرب والمسلمين بالاوراق الخاسرة. وأحب ان استشهد هنا بالذات بقول للفيلسوف الاسلامي روجيه غارودي عن ان انسان الكهف كان يخاف القواطع والاوادب فأصبح هو كهفاً يخيف سواه. لقد انقلب كل شيء. ومع بداية هذا العام، كان شكل النظام العالمي الجديد يرسم من افغانستان. وهذا مخيف. وغير عادل سلفاً. لقد عادت اميركا الى زمن المحاكم العسكرية. ودخلت اوروبا مرغمة صاغرة في حرب التصنيف. ولم يعد للارهاب تعريف سوى التعريف الاميركي، وخصوصاً ان الامم المتحدة اصبحت مجرد عربة في آخر القطار، ينام امينها على وسادة نوبل. وهي وسادة من التبن، تذكر صاحبها باستمرار، بغيباب الحنطة.

سمير عطالله

نجم الظلام الساطع

من أصلك عوْجه يا عوْجه...
نزل باللبناني تأنيباً وننتف ريشه إن هو هبَّ فمه أو احتج وقال أخت هذه الحالة،
على سبيل فش الخلق لا أكثر.
وتنهمه بالنق والتبويم اذا قال أخ ظهري انكسر من الهموم، أو إذا تأوّه من حال
الزمان عليه.
في قصة الكهرباء، التي برّزت بروجها قصة روميو وجوليت، وأعيت كل ذي حيلة،
وجعلت حتى الجمال تستغيث بصبر أيوب، ماذا تقول لهذا اللباني المعترّ حول هذه
الشرشحة وهذه البهدلة التي قطع صيتها البحار السبعة؟
وبمّ تجيبونه حين يسألكم من المسؤول الحقيقي، وأين، وماذا اتخذتم من اجراء في
حقه؟ وحين يستفسر عن سرّ هذا الانقطاع الكيفي المرعب الذي تسمونه التقنين؟
وحين يستوضح أين يذهب التيار والى أين تفرّ الكهرباء؟
تلومونه، تؤنّبونه، تنهمونه بالأثانية وانعدام الحس الوطني والشعور بالمسؤولية؟
أو إنكم تحمّلونه مسؤولية البلبلة حول القمة العربية؟
الدنيا برد وثلج وصقيع ودينق، وطرق مقطوعة، وناس منقطعون في قراهم، ولا
حديث في البلد الا حديث الكهرباء، وحكاياتها، ومفتها نغمتها على ساعتها.
الاّ انها لا تزال تنقطع وتنقطع وستظل تنقطع أكثر فأكثر.
كانوا يقولون عندما تتعقّد الأمور، واختصاراً للشرح: القضية على ثلاثة طوق.
فيذهب كل واحد في سبيله.
اللبنانيون اكتشفوا أخيراً ان الكهرباء هي القضية التي على ثلاثة طوق.
الطوق الأول عوامل الطقس، التي لا قدرة للبناني على مقاومتها او التمرجل عليها،
ولا تعليق خطه الكهربائي على برقها ولمعها.
الطوق الثاني الفساد العريق، الذي ملّ تقديم نفسه والتحدّث عنها حتى عبر
الفضائيات.
الطوق الثالث الناس الذين استطابوا المال الحرام والكهرباء الحرام والنور الحرام.
وعلى عينك يا تاجر.
ويمكن اضافة طوق طوقين عن انعدام المسؤولية والمال السائب، وفواتير المليار
ليرة التي يمتنع اصحابها عن تسديدها وتمتنع الوزارة والادارة والمصلحة والكهرباء عن
ملاحقتهم وارغامهم على دفعها.
وهكذا، تصحح الكهرباء فجأة هي النجم الساطع في الفضاء اللبناني المظلم، وتصبح
حال البلد كل بين خطّو إلو.
ولان الحال لم تعد تطلق اضطر الرئيس الحريري للاستنجد بالرئيس ميرو، لتمدّنا
سوريا بكم ميفواوت زيادة تعيد الحرارة الى الخطوط والقلوب والرؤوس.
ممتاز، ولكن، هل تنتهي بذلك قصة إبريق الزيت وينتهي التقنين والتعليق؟
يُدري من يعيش.

"زيّان"

انتهى القرن الماضي، على نحو ما، في افغانستان، وليس عند جدار برلين. هنا، في بلاد الافغان، لم "ينته التاريخ" كعامل سياسي ايدولوجي، بل انتهى ايضا بالحاق أول هزيمة عسكرية كبرى بـ"الجيش الاحمر"، الجيش الاستوري الذي حارب جاعاً عاريا متجلدا في ستالينغراد وتحول بطلا زاحفا على برلين، وشريكا مؤثرا في بوتسدام وبيلطا، ومالكا حقيقيا على امتداد الدانوب وفي العواصم الامبراطورية السابقة، من بروسيا الى المجر.

في هذا الموقع المقفر، البعيد، الذي تجرف الرياح القطبية خضرته وجذوعه وتظمر جذوره بالثلوج، يبدأ القرن الجديد، و"التاريخ الجديد"، على نحو اختبائي عسكري، وايدولوجي ايضا. وتلك القاعدة السرية التي بناها الاميركيون من اجل ضرب السوفييات والتسلل الى مسلمي آسيا الوسطى، يحاولون الآن جعلها قاعدة معلنة، يصلون من خلالها الى "الاسلام المعتدل" في آسيا، ويقصفون منها "الاسلام المتطرف" وقواعده حول العالم.

هنا، في افغانستان، التي اصبحت اليوم أشهر بقعة في براكين الكوكب الزررق، اكتشف الاميركيون والسوفييات قبل ثلاثة عقود اهم "مخبأ" يقيمون فيه المرحلة الاخيرة من الصراع. فالاممية الاسلامية وحدها كانت كفيلة في الرؤية الاميركية تفكيك الاممية الشيوعية. ولذا رأت موسكو ان تنقل "خط الدفاع الاول" قليلا الى الامام، الى كابول وقندهار، قبل ان يبدأ التمدد في جمهورياتها الاسيوية. وهكذا دخل السوفييات الى كابول عن طريق الشيوعيين الافغان. وأسرع الاميركيون الى الدخول عن طريق "المجاهدين". وعندما بدأت الحملة كان اسامة بن لادن لا يزال يعمل في المقاولات، ولم يكن قد اصبح "الشيخ المجاهد" الذي سيحول الحرب في افغانستان من حرب على موسكو بمساعدة الاميركيين الى حرب على اميركا، حليفها الثاني فيها، الروس.

الحليف الاول كان باكستان. في الحرب على الروس، وفي الحرب على اميركا، وفي حرب اميركا على "طالبان"، لعبت باكستان الدور المركزي. هي التي كانت ترجح القوى. وهي التي كانت جسر اميركا الخفي ضد الروس واصبحت جسرها العلني ضد بن لادن. وبصرف النظر عن هوية الحاكم السياسي في اسلام آباد، فقد كان "الحاكم" العسكري في روالبندي، على الدوام، حليفا للاستراتيجية الاميركية الكبرى، كيفما اتجهت، لأنها درعه التاريخية حيال الهند. إنه التعاهد الذي قام منذ ان تخلص عسكريو روالبندي من ذو الفقار علي بوتو، وهكذا الفيت الزعامات المتجدرة لتحل محلها زعامات وافدة من البنجاب، كزعامة نواز شريف، الذي اطاحه برويز مشرف، لاغيا الواجهة المدنية ومساحيق اللون الدستوري، التي تنقعت بها المؤسسة العسكرية.

استعانت اميركا على الشيوعيين والافغان بعسكريي روالبندي. واعانتهم على اقامة "طالبان" في وجه الدعم الايراني والروسي والهندي لـ"تحالف الشمال"، والآن تستعين بهم من جديد لتدمير "طالبان" واقامة نظام "معتدل" في كابول، ودعم "المعتدل" الاسلامي في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، التي كتب احد مرافقي نابوليون انها اقبح مستنقع عسكري في العالم.

يتجمع القرن الحالي، مثل النصف الاخير من القرن الماضي، عند محور واحد هو المحور العربي - الاسلامي. لم يعد هناك نقاط تفجر محتملة: لا في كوبا التي كادت تتر الارض الى العدم خلال "ازمة الصواريخ". ولا في برلين التي كادت تطلع منها الحرب العالمية الثالثة بعد الحرب الثانية. ولا في البلقان، حيث تفجرت كل حروبه بمجرد موت تيتو وغياب موسكو. ولا في الصين، حيث "استعادت" الصين هونغ كونغ من المستأجر البريطاني وتركت تايوان لحسن الصدف وحسن التدبير. ولا في افريقيا حيث لم تعد القارة تمم احدا سوى معمر القذافي الذي انصرف الى توحيدها بعد انتهاء عملية الوحدة العربية! اذن، تبقى القارة الاسيوية، وفي هذه القارة يخيم الخوف من الحرب الكبرى على موقعين: القدس وكشمير. وفي الموقعين، يواجه الاسلام (والعرب) قوى تفوقه في الميزان العسكري: الهند، التي يفوق عدد جنودها القوات الباكستانية ضعفا واحدا على الاقل، وتفوق قوتها السلاحية السلاح الباكستاني ضعفا كثيرا. وهنا، في الشرق الاوسط، القوة الاسرائيلية التي لم يسمح للحرب بتحقيق اي توازن استراتيجي معها. وفي هذا الجزء من آسيا، كما في بلاد الهند والسند، تقف اميركا في مقدمة الجبهة المواجهة. فالذي فعله اسامة بن لادن، فيما فعل، انه لم يقض فقط على فرص الانتفاضة ويسهل عملية تصنيف الحركات الفلسطينية في دائرة الارهاب، وهو امر كان مستحيلا على الصعيد الدولي، وخصوصا الاوروبي، قبل (١١ ايلول، بل انه سهل كذلك عملية ادخال العمل الكشميري في دائرة الارهاب. وللمرة الاولى منذ (١٩٦١)، للمرة الاولى منذ محاولات كينيدي المخففة في استرضاء الهند، التقت واشنطن ونيودلهي على مفترق واحد في وجه الخوف القادم من كهوف قندهار. قلب الشيخ المجاهد اسامة بن لادن، كل شيء على الصعيد الدولي، عندما قرر ان يرى مستقبل العالم من كهف، او شبكة كهوف ممتدة في جبال جرداء لم تعرف حتى خضرة الطبيعة. فبعد (١١ ايلول، اصبح كل رجل "شرق اوسطي الملامح" في الغرب، اراهيباً محتملاً. واصبح كل تحويل مالي يزيد على عشرة آلاف دولار، صفقة اراهيبية

جبهة سياسية معارضة تولد قريباً وأولى مواجهاتها ستكون "أم المعمارك" لماذا قرر كرامي الاستقالة من النيابة ثم التريث "موقتاً"؟

شهد الساحة السياسية اللبنانية في الاسابيع المقبلة ولادة جبهة سياسية معارضة تضم رؤساء سابقين لمجلس النواب والحكومة ونواباً حاليين وسابقين وربما بعض العاملين في الشأن العام من المستقلين، وينشط في تأسيس هذه الجبهة الرؤساء

حسين الحسيني وسليم الحص وعمر كرامي وأولى الخطوات العملية لقيامها ستكون من خلال لقاء تمهيدي الاسبوع المقبل في منزل الحسيني حيث سيلبي عدد من السياسيين دعوته الى "غداء عمل" يكون حضوره من اعضائها بل من نواة هيئتها التأسيسية على

ان تلي هذا اللقاء، لقاءات اخرى عند كرامي والحص وسائر الاعضاء، لذا فان التكتّم على اسماء هؤلاء لن يدوم طويلاً، وسيعلنون عن انفسهم بطبيعة الحال فور مشاركتهم في اللقاء التمهيدي الاول الاسبوع المقبل، وسيصار الى تحديد الموعد النهائي في اتصالات بدأت مع المدعوين - الاعضاء.

وكان قيام مثل هذه الجبهة قد نوقش بين الحص وكرامي خلال زيارة قام بها الاخير لمنزل الحص قبل شهرين حيث تم التفاهم على الخطوة "مبدئياً" مع بعض

التروي والمهدوء وسلسلة مشاورات سرية مع بعض الشخصيات التي يمكن ان تكون من اركانها ومن هؤلاء النائبان بطرس حرب ونسيب لحود والنائبان السابقان نجاح واكيم

ومحمد يوسف ييوضون للذات بات انضمامها الى الجبهة في حكم المؤكد. ومن الاسماء المطروحة ايضاً النائب السابق كميل زيادة وآخرون يجري التشاور معهم. كما ان الموضوع ذاته كان محور اللقاء الذي عقد الاثنين بين الحسيني وكرامي في منزل الاخير في بيروت.

اما العقبة الاولى التي واجهت تنفيذ الفكرة فكانت وجود شخصيات كثيرة من نواتها في تجمعات سياسية اخرى منها "لقاء قرنة شهبان" ولقد تحدث كرامي تكراراً عن هذه العقبة في مجالسه الخاصة. ويبدو انها لن تحول دون انضمام نواب

وشخصيات مسيحية الى الجبهة المشار اليها، ذلك ان اللقاءات التمهيديّة ستشهد تشاوراً للتفاهم على القواسم المشتركة بين الاعضاء كخطوة اساسية "لتلمس الطريق الكفيلة باتخاذ مواقف من غير تصدع يصيب الجبهة، وخصوصاً ان توجهها سيكون

اصلاحياً داخلياً يتمثل بحاربة الفساد والسعي الى التنمية الادارية وتفعيل العملية الديموقراطية وهذا بند اساسي - على حد تعبير الحص - الذي يعزز فكرة قيام

الجبهة الى الحاجة الى "ملء الفراغ الناجم عن ضعف الحياة السياسية وترهلها اذ لا حياة سياسية في لبنان بالمعنى الحقيقي للكلمة" اما كرامي فيذهب بعيداً في الشكوى من غياب "كل مقومات الحياة السياسية والديموقراطية بما فيها الدور الذي يفترض ان

يضطلع به مجلس النواب في الرقابة والتشريع بالاضافة الى غياب تام للحكومة عن معالجة قضايا الناس وفي مقدمها الهم الاقتصادي والاجتماعي فيما نشاهد احد الوزراء وهو من طرابلس، يبشرنا من على التلفزيون ان الوضع الاقتصادي بألف خير". وينتقد

كرامي الحكومة ويذكر من الوزراء "بيار حلو الذي أحبه وأقدره" مستغرباً ما صدر عنه اخيراً حول عدم علمه بشيء واستمراره رغم ذلك لأن بقاءه داخل الحكومة افضل لخدمة المواطن على حد تعبيره".

وفي تطور لافت، كان كرامي قد قرر منذ مدة "بعد مراجعة شاملة مع الذات" تقديم استقالته من النيابة. وبالفعل فقد اعد كتاب الاستقالة وقرر تقديمه الى رئاسة مجلس النواب قبل نهاية السنة، لكنه بعد مشاورات مع عدد من الاصدقاء اللصّص قرر

التريث وصرف النظر مؤقتاً عن الخطوة التي "لا تزال واردة" ويبدو انها مرتبطة بنجاح الجبهة المنوي انشاؤها في "القيام بشيء ما لمعالجة الاوضاع ومنع التدهور" ويؤكد كرامي جدية قراره متسائلاً: "ما الفائدة من الاستمرار في النيابة ما دمنا عاجزين عن

ممارسة دورنا في مجلس نواب معطل وفي الدفاع عن قضايا الناس ما دام كل شيء معلقاً؟"

ويضيف: "ربما من الافضل بكثير ان نجلس قرب الرئيس الحص الذي لا ارى فرقاً في موقعه بعد خروجه من مجلس النواب". ويبدو كرامي عند حافة اليأس من اي اصلاح "ما دام الخلل يكمن في تركيبة النظام" وقد ردد هذه العبارة تكراراً خلال لقاء له قبل مدة مع رئيس جهاز الامن والاستطلاع في القوات السورية العاملة في لبنان

اللواء الركن غازي كنعان. ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

ويبدو واضحاً ان اسقاط حكومة الرئيس رفيق الحريري ليس من ضمن اهداف الجبهة المرتقبة، ذلك ان كثيرين من الساعين الى تأسيسها يسلمون وباشكال مختلفة ومن غير تأييد سياسية الحكومة، بأن لا بديل من الحريري في المرحلة الراهنة، فهذه "الجمرة" ليس بيننا من هو مستعد للمساك بها، على حد تعبير كرامي، الذي يرى ان الحريري "كبر هذه الجمرة" بحيث لا يعد غيره قادراً على اسماها حتى انتهى بنا الامر الى انه هو مع غيره لم يعد في استطاعته تحملها". وكذلك فان زوار الحص ايضاً طالما

سمير منصور

الامام المغيب مرتين

منذ ٢٤ عاماً، ولف الامام المغيب السيد موسى الصدر ما زال مفتوحاً. والمستغلون يستغلون. والذين يستظلون عباءة الامام يتلحفون بما كلما اعوزهم ما يتدثرون به.

منذ ٢٤ عاماً، وقضية الامام الكبير، الاكبر قطعاً من مدعي حمل وديعته، تثار يوماً لتطفأ اياماً. تثار بحساب ولاغراض، وتطوى بحساب.

كان الامام الراحل الشيخ محمد مهدي شمس الدين ييوج في مجالسه الخاصة انه "يجب وضع حد نهائي لهذه المسألة، لان الاستمرار على هذا النحو مسيء لمكانة الامام، وللثقافة الشيعية، وللوطن كلاً". فما الذي يحول دون العبور من الضبابية والغموض الى اليقين، بموقف رسمي يصدر عن القضاء، وتحمل السلطة السياسية مسؤوليته، ايّاً تكن مرتباتها؟

لقد شكل المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى لجنة حققت في الموضوع، وخرجت بتقرير يثبت عدم مغادرة الامام ورفيقه الاراضي الليبية. والدولة اللبنانية، اثر الاخفاء، وفي ظل حكومة الرئيس سليم الحص، شكّلت لجنة دبلوماسية - قضائية - عسكرية حققت هي الاخرى، وخرجت بتقرير ينتهي بخلاصات ماثلة. وفي القضاء ملف متكامل. وعائلات الامام ورفيقه رفعت دعوى شخصية. وايران انشغلت بالامر، ولما تزل، وخصوصاً ان صلة نسب تجمع بين السيد محمد خاتمي وعائلة الامام ذات الحضور في الهيكلية السياسية الايرانية نفسها.

فلماذا، بعد كل هذا، لا يصدر قرار لبناني رسمي، بالتوافق مع عائلات المغيبين والمجلس الاسلامي الشيعي، يبسط الحقيقة كاملة، ويعلن اقفال الملف، محملاً الدولة الليبية المسؤولية، من غير لبس في مسألة لا لبس فيها؟

لم يقف الامام عند تخوم طائفته. بل نزل في قلوب اللبنانيين جميعاً، جميع عارفيه ومحببه، شخصاً وفكراً (وصاحب هذه الاسطر بينهم).

فمن حق هؤلاء الا يتحول الاخفاء مناسبة موسمية، تثار يوماً كل عام، لتطوى في باقي الايام.

ومن حق جيل كامل من اللبنانيين، لم يعرفوا الامام، ان يقفوا على حقيقة ما جرى. وان يجامروا في وجه المرتكب: انت ارتكبت كبيرة من الكبائر. وتاريخ لبنان الحديث لن يفرح لك.

* * *

الامام مغيب مرتين.

مرة لدى من غيبوه جسداً. ومرة لدى من يغيبونه فكراً وممارسة.

فلتنزل الادانة بمغيب الجسد. ولنسترد الامام من خاطفيه من ابناء البلد.

جورج ناصيف

الانتفاضة مستمرة

—٣—

الاستمرار في الحكومة الائتلافية أو الرحيل عنها. وفي خضم مرحلة كهذه لا يستطيع الرئيس الجديد لحزب العمل وزير الدفاع بنيامين بن اليعازر الانسجام مع قادة حزبه بعدما صار زعيماً له، إذ لم يعد في استطاعته ان يبقى ظلاً لشارون وقريباً من منطقه العسكري.

كيف ينظر الأميركيون الى مواقف السلطة الفلسطينية التي وردت في "الموقف"؟

سركيس نعوم

كلفة الشراكتين

بطريقة ما تتخذ جلسة مجلس الوزراء اليوم منحى رمزياً دراماتيكياً، غير مصرح به رسمياً ولو بُرر تقديم موعد الجلسة يوماً بترزامن الموعد المعتاد لمجلس الوزراء غداً مع موعد توقيع اتفاق الشراكة اللبنانية - الأوروبية.

المنحى الرمزي يتمثل في إعادة مخلفات الازمات التي انفجرت فجأة بلا مقدمات وانهدكت السلطة الى عهدة "المرجعية الجماعية" التي كان يفترض بها دستورياً ومنطقياً وسياسياً ان تمنع تفجرها من خلف ظهرها، وكذلك ان تمنع تسلاها الى بقايا العافية المتأكلة للدولة وهيبتها.

وبمعنى صريح جداً، فإن جلسة اليوم، سواء حال مانع دون تحولها جلسة مناقشة لهذه الازمات او تجرأ المجلس على وضع يده عليها، تبدو كأنها خاتمة المطاف للكلفة العالية التي سيدفعها لبنان ثمناً لشراكتين: شراكة مع أوروبا، وشراكة مع الاتجاه العربي - الدولي لمكافحة الارهاب، وفي كلا الشراكتين يعاني لبنان عارضا مزمناً هو "السيادة الزائفة"، او السيادة المفرطة على قراره!

لقد غُلفت "ازمة الجبارين" رئيسي مجلس النواب والحكومة، طويلاً بأغلفة محلية تقليدية وحُصرت مساربها في قضية التعيينات. واحكم النافذون رسم السيناريو الشكلي للمخرج بحيث تتم مصالحة الشريكين اللدودين متزامنة مع انعقاد مجلس الوزراء لاتمام ملحق الصفقة على التعيينات المتبقية.

عند هذا الحد تظهر الازمة، وهكذا يُراد لها ان تظهر، محلية وداخلية صرفة، في حين تُطمس بطبيعة الحال "توظيفاتها" و"وظائفها" الخارجية المتعددة الوجه والاستخدام والتي سرعان ما ستتكشف اهدافها حين يذوب الثلج في المواقيت المحددة لها وليس بمقاييس طبيعة الخلافات الداخلية المتحجرة دوماً لتقديم هذا النوع من الخدمات "السيادية".

ليس في انفجار الخلافات قبيل اتفاق الشراكة اللبنانية - الأوروبية ما يشي برسم حدود واريابات وموانع في لبنان خشية انزلاقه سريعاً نحو اندماج عالمي تقوده اليه ازمته الاقتصادية القاتلة وربما يثير مخاوف من تبدلات بنوية اقتصادية وتالياً سياسياً في تطوره؟ ولو لم يكن الامر كذلك لماذا تأخرت الى هذا التوقيت بالذات الاستفاضة الى وجود شركات تجارية غربية متهممة بالتعامل مع اسرائيل، ولماذا لم يتم التدقيق من قبل في قضايا مماثلة بدل ان تبدو هذه الإثارة كأنها تستهدف تنفير الاستثمارات لأهداف سياسية داخلية؟

ثم ليس في الزج المفتعل لقضية القمة العربية في الخلافات الناشبة، وسط انهماك لبنان في الاعداد للقمة، ما يعرضه لأقصى تجاربه احراجاً واضعافاً تجاه العرب انفسهم؟

ان معظم العرب يدينون للبنان بالكثير الكثير ولا يملك اي من انظمتهم ان يذرف دموع التماسيح على ديموقراطيته ولو غيلة وسيادته ولو منقوصة. والاوروبيون في مجملهم ما كانوا ليعطوا لبنان ميرة فضلى في توقيع اتفاق تنفيذي رديف لاتفاق الشراكة بالاحرف الاولى لولا معرفتهم العلمية بخصائص تكوينه الليبرالي والحضاري، باعتبار ان هؤلاء يصوتون فعلاً على قراراتهم ويتخذونها باجماع جدي وليس باجماع الـ ٩٩,٩٩ في المئة الزائف في الانظمة العربية.

وربما لهذه الاعتبارات بالذات يُراد للبنان ان يصل منهكا الى المحطتين، لأن ما فيه هو من فضائل تكوينه بالدرجة الاولى، وليس من فضائل اي سلطة او حكومة او نفوذ.

والى ان يبسط مجلس الوزراء سلطته الفعلية على الازمات الداخلية، ستبقى كلفة كل انجاز موعود سيفاً مصلتاً فوق الانجاز لئلا يتفطت لبنان من ازمته الزمنية.

نبيل بومنصف

يبدو ان غالبية الشعب الفلسطيني، باستثناء المنضوين في لواء حركة "حماس" ومنظمة "الجهاد الاسلامي لتحرير فلسطين" طبعاً، ادركت خطورة ما قامت به الائتتان وخصوصاً بعد الذي تعرضت له الولايات المتحدة في الحادي عشر من ايلول الماضي. ورأت ان المرحلة الحالية يجب ان تكون مرحلة وقف نار أولاً لالتقاط الانفاس بعد الوحشية التي مارستها على هذا الشعب كله رئيس وزراء اسرائيل ارييل شارون على مدى ١٥ شهراً. وثانياً لحرمان الاخير الحجج والذرائع التي تمكنه من اعادة الرئيس الاميركي جورج بوش الى الموقف الذي اتخذه بعد تسلمه سلطاته الدستورية والذي استمر اشهرًا عدة وهو اهمال ازمة الشرق الاوسط ولبها القضية الفلسطينية وترك الحرية لشارون كي يتصرف على النحو الذي يشاء. وثالثاً تلافياً للاسوأ الذي هو، الى القتل والدمار، انهاء حلم الشعب الفلسطيني باقامة دولته المستقلة وتمجير معظم من يقم منه في الضفة الغربية الى الاردن.

وقد عبرت غالبية المذكورة عن ذلك كله في استطلاعات رأي اجرتها اخيراً مؤسسات متنوعة في اراضي الحكم الذاتي الفلسطيني.

ويبدو ايضاً ان العطف الذي مارسته "فتح" وجمهورها العريض حيال "حماس" و"الجهاد" اثناء الانتفاضة والذي نجم عن مقاتلة الجميع عدواً لا يميز بين احد منهم ويهدف الى القضاء عليهم كلهم وعن التنسيق الميداني الذي اقاموه في ما بينهم والذي دفع مقاتلي "فتح" اكثر من مرة الى حماية اعضاء في الحركتين المذكورتين عند محاولة السلطة القاء القبض عليهم او الى اخراجهم بعد ساعات من السجن بموافقة من رئيسها ياسر عرفات - يبدو ان هذا العطف لم يعد موجوداً وكذلك نتائجه.

ويبدو ثالثاً ان غالبية الشعب الفلسطيني استجابت لقرارات رئيس سلطته الوطنية ياسر عرفات وابرزها اربعة. الاول، وقف النار في اراضي الـ ١٩٤٨ ووقف العمليات الانتحارية ووقف التعرض للمدنيين. والثاني، استمرار العمل العسكري ولكن ضمن الاراضي الفلسطينية التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ والتي طالب مجلس الامن باعادتها الى اصحابها باعتبارها محتلة وبعدما دان مبدأ احتلال اراضي الغير. والثالث، استمرار انتفاضة الشعب الفلسطيني التي لن تتوقف قبل حصوله على حقوقه المعترف بها دولياً وامهها اقامة الدولة على اراضي الـ ١٩٦٧ وعاصمتها القدس والاعتراف ببداً حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ارضهم والاتفاق بعد ذلك على تفاصيل تطبيق هذا المبدأ. اما الرابع والاخير فهو وقف العمليات الانتحارية التي يعتبرها الفلسطينيون استشهادية كونها لا تتم حبا بالموت بل رغبة في توفير حياة كريمة لاولاد الانتحاريين ولعائلاتهم ولشعبهم. علماً ان الموقف المذكور لم يكن ادانة مطلقة لهذا النوع من العمليات او من غالبية الشعب الفلسطيني التي ايدت قرار وقفها اخيراً. ذلك انها مشروعة وخصوصاً عندما يتعرض شعب لعدوان مستمر باكثر الاسلحة تطورا وقدرة على التدمير مثل الطائرات والدبابات وهو لا يملك في المقابل الا البندقية والمالون والمسدس والعبوة الناسفة والسكين. بل كان ادانة من السلطة نفسها لبلسان اعلى مرجع فيها للتوقيت السيئ لبعض العمليات الانتحارية ولعدم ادراك مقرريها اثارها السلبية في مراحل معينة على نضال الشعب الفلسطيني او لتصميم بعض هؤلاء المقرررين على "تخريب" كل ما تقوم به السلطة رغم انه يصب في خانة تحقيق اهداف شعبها. ويبدو رابعاً واخيراً ان غالبية الشعب الفلسطيني تعرف ان ياسر عرفات سيبقى المحاور الوحيد لاسرائيل اثناء السعي الى السلم وسيبقى المقاوم لها مع شعبه في مراحل تراجعها عن الرغبة فيه او عن العمل للتوصل اليه. وهذه المعرفة ناجمة عن قرارها انه يمثلها وعن جدارة، وعن اصرار المجتمع الدولي بكل الوانه الجغرافية والمناطقية على استمراره مثلاً لشعب فلسطين وناطقاً باسمه وعاملاً لايصاله الى حقوقه. وناجمة ايضاً عن متابعتها ما يجري على الساحة الاسرائيلية. اذ بينما "يلغي" شارون عرفات سياسياً في تصريحاته تراه يرسل ابنه "للكلام" معه. وترى ايضاً وزير خارجيته شمعون بيريس على اتصال مستمر به ويجتمع مع مسؤولين كبار في السلطة وترى نتائج لاجتماعات كهذه. وآخر هذه النتائج ما سره بيريس عن ورقة افكار اتفق عليها ورئيس السلطة الاستراعية الفلسطينية احمد قريع "ابو العلاء". ولا يقلل نفي عرفات ومسؤولين آخرين في السلطة وجود ورقة كهذه واصرارهم على انها تنطوي على افكار بيريس اهميتها. ذلك ان السبب الاساسي للنفي قد يكون حرص عرفات على تكريس انخراط وزير خارجية شارون في عملية السلام رغم رفض الاخير لحياتها. وقد يكون ايضاً حرصه على المساعدة في بلورة "اتجاه سلمي" داخل الحكومة الاسرائيلية يحد من جموح رئيسها ومن حصر اهتمامه فقط بالخيارات العسكرية. وقد يكون اخيراً اقتناعه بان بيريس هو الاقدر على صنع السلام مع الفلسطينيين. وفي هذا الاطار تنتظر السلطة الفلسطينية بشيء من الترقب اجتماعاً قريباً لقيادة حزب العمل يفترض ان يتقرر فيه

الطوفان... وسفينة نوح !

ديموقراطية شوفينية !

يرتكب الاصلاحيون في ايران خطأ جسيماً هذه الايام، يوجه ضربة قاصمة لصدقيتهم ويضع أكثر من علامة استفهام امام شعاراتهم ومدى جديتهم في تطبيقها. فمنذ وصول خاتمي الى الرئاسة عام ١٩٩٧، والاصلاحيون يرفعون شعارات المجتمع المدني والديموقراطية، وحقوق الانسان والانفتاح. ولا يتوانى الكثير من منظريهم عن اعتماد النموذج الغربي للديموقراطية نبراساً لهم.

لكن ما يفعلونه هذه الايام ينسف هذه الدعاوى، اللهم الا اذا كانوا يتصرفون وفق مقولة "الغاية تبرر الوسيلة".

ماذا فعل الاصلاحيون؟

يتعرض هؤلاء لهجوم عنيف من خصومهم المحافظين المسكين بالقضاء. والهدف هذه المرة، غالبيةهم البرلمانية التي حصلوا عليها بأصوات الشعب في الانتخابات النيابية الاخيرة. فقد سجن نائب اصلاحي حتى الان، وصدرت أحكام ضد اثنين آخرين وما زال "الحبل على الجرار".

وفي محاولات صد هذا الهجوم الكاسح، لجأ النواب الاصلاحيون الى فتح ملف هوية رئيس السلطة القضائية محمود هاشمي شاهرودي وما اذا كان من اصل عراقي وحصل على الجنسية الايرانية، أم ايرانيا ولد وعاش في العراق. وفي كلتا الحالتين فان الرجل يعتبر في نظر القوميين الايرانيين عراقياً، ولو عاش في العراق عامين او ثلاثة.

ليست هذه المرة الاولى التي يشهر فيها هذا الموضوع ضد شاهرودي، فقد أثير لدى اختياره من جانب المرشد لرئاسة السلطة القضائية خلفاً لمحمد يزدي قبل سنوات. لكن الاثارة كانت من جانب رجال دين كانوا يطمعون في تبوؤ هذا المنصب تحركهم نزعات قومية شوفينية، الا ان الاصلاحيين لم يتبنوا الامر، بسبب تعويلهم على عملية "تطهير" وعد شاهرودي بتنفيذها داخل الجهاز القضائي الذي وصفه بـ"الخربة".

وعندما رأى الاصلاحيون تمادي القضاء في تطويقهم وسد الطريق امامهم، لجأوا الى "التشهير" برئيس القضاء باعتباره من اصل عراقي، بل ان بعض النواب اطلق عليه لقب "العراقي"، فيما بادى بعض الاقلام الى الفوضى في نشاطات "تيار العراقيين" في ايران وامتداداتهم. و"تيار العراقيين" هذا، يقصد به اولئك الايرانيون الذين أقاموا في العراق لسنوات، او انهم ولدوا في العراق من أبوين ايرانيين كانوا يقمان في العراق، لغرض الدراسة في الحوزة الدينية غالباً. لكن هؤلاء يظنون في رأي القوميين الايرانيين، مواطنين من الدرجة الثانية ويطلق عليهم اسم "المعادون" ويجري التعامل معهم بحساسية وتحفظ، بل ان بعض الوظائف محرمة عليهم.

ولا تشفع لهؤلاء، براءتهم العلنية من أي "أصل" عراقي، ولا تخليهم عن استخدام اللغة العربية التي يتقنونها عادة، لاثبات ايرانياتهم، بل يظنون في رأي الاخرين عرباً وتحديداً عراقيين. كما لا يشفع لهؤلاء انهم يؤدون دوراً حيويًا في مجالات حكومية، خصوصاً تلك التي تحتاج الى اتقان اللغة العربية، فيما يحاول البعض منهم لعب دور الجسر بين ايران والعالم العربي، بما يشكل حاجة فعلية لتيار خاتمي في سياسته الخارجية. كيف يمكن حمل لواء المجتمع المدني والحكم الديموقراطي، والحديث في الوقت نفسه عن "أصل عراقي" لمسؤول ايراني باعتباره عيباً. ألا يعرف هؤلاء ان في الغرب وباقي الانظمة المتحضرة، عشرات المسؤولين، حتى على مستوى الرئاسة، ينحدرون من اصول اجنبية، وبينها عربية تصديداً؟ هل يعلم هؤلاء ان مارتن انديك الاوسترالي صاحب نظرية احتواء ايران والعراق الاميركية اصبح نائباً لوزير الخارجية الاميركي بعد عامين فقط من حصوله على الجنسية الاميركية؟

لا يقلل من سلبية ما يفعله هؤلاء (الاصلاحيون) قولهم انهم يطالبون بتطبيق القانون الذي يضم مواد تفوح منها رائحة شوفينية، فتقنين الخطأ لا يحوله صواباً. وربما يستدعي ما جرى لشاهرودي فتح باب النقاش بين عقلاء الجانبين حول ثفر "حضارية" في الدستور والقوانين الايرانية، لا بد من سدها للوصول الى نظام عصري غير منفلق على الاقل في مستوى الشعارات العلنة.

سالم مشكور

بعد أقل من أسبوع على قيام اسرائيل بقرصنة "كارين أ" التي كانت تحمل ٥٠ طناً من السلاح، بات واضحاً تقريباً، اننا لسنا أمام عملية "سفينة نوح"، وهو الاسم الذي أطلق على خطة اعتراض السفينة في مياه الخليج المطمئنة والناائمة، بل امام محاولة اسرائيلية لافتراس طوفان يجرف كثيراً من معالم الوضع الراهن في المنطقة ويفرق أنظمة ومنظمات، ويرسم مجرى جديدا للسياسات والتحالفات الدولية في الشرق الاوسط.

ربما لأن الولايات المتحدة الاميركية تعرف مدى خطورة الطوفان الذي يحاول اربيل شارون ان يستولده من السفينة المذكورة، فانها حاذرت حتى الآن على الاقل تأييد الرواية الاسرائيلية عن السفينة أو تبني وجهة نظر شارون في ما يجب ان يترتب على "تهريب السلاح" من نتائج وردود.

ولأن المسؤولين في واشنطن، لا يريدون مجارة شارون في اطلاق الطوفان كما قلنا، قيل ان اميركا فتحت تحقيقاً في الموضوع يشمل في ما يشمل الفلسطينيين واليرانيين مروراً طبعاً بلبنان و"حزب الله". كذلك فتحت السلطة الفلسطينية بدورها تحقيقاً في محاولة للرد على الرواية الاسرائيلية التي رغم حبكتها البوليسية المتقنة، جاءت لا تخلو من نقاط تثير الشكوك والالتباس.

وفي انتظار التحقيقات التي قد تستغرق وقتاً طويلاً من الضروري تشخيص الاهداف التي يريد شارون ان يحققها عبر هذه العملية، التي سارعت اوساط الجيش الاسرائيلي الى وصفها بأنها "معتبيي بحرية" وهو أمر يستهدف ضح البريق الى صورة جهاز الاستخبارات الذي مني بكثير من الخيبات في العامين الماضيين والى معنويات وحدة كومانندو النخبة في سلاح البحرية، التي تعاني صدمة منذ وقوعها في حقل الالغام في انصارية في جنوب لبنان كما هو معروف.

ما هي هذه الاهداف؟

* أولاً: أهداف سياسية استراتيجية، تتمثل بتدمير "الرؤية الاميركية" التي تحدثت عن ضرورة قيام دولة فلسطينية، فاذا كان ياسر عرفات منهمك رغم حديثه عن وقف النار في تهريب بواخر الاسلحة فإنه [كما سارع شارون الى القول] يقدم أدلة دامغة على انه "يلعب دوراً رئيسياً في الازهاب على المستويين الاقليمي والدولي"، وهذا يعني من وجهة نظر اسرائيل ان على أميركا ان تطلق يد شارون وهو لن يتوانى عن الوصول الى عملية "الترانسفير" التي طالما حلم بها.

ويجب ان لا ننسى ان شارون يجتهد منذ ١١ ايلول وبوتيرة يومية وعبر ضغوط صهيونية كبيرة، لكي يربط عملية القمع الدموية ضد الفلسطينيين بالحرب الدولية على الارهاب، وقد حقق تقدماً في هذا الاتجاه بعد التصنيفات الغريبة لـ"حماس" و"الجهاد الاسلامي".

* ثانياً: أهداف عسكرية محلية تتمثل بفرض مسوغات نهائية لتدمير سلطة ياسر عرفات حيث يتحدث شارون صراحة عن واحد من أمرين: إما ابعاده نهائياً واما دفعه عبر ضغوط أقوى ليقوم بتفكيك "حماس" و"الجهاد". وفي النهاية ليس المطلوب سحق الانتفاضة كلياً، بل تركيع الفلسطينيين ويجاد الاجواء الملائمة لتنفيذ خطة شارون جلب مليون يهودي جديد الى فلسطين، وما يترتب هذا من جعل خطة تهجير الفلسطينيين أمراً لا بد منه!

* ثالثاً: أهداف عسكرية خارجية تتمثل بزج اسم "حزب الله" في عملية السفينة، سواء عبر الادعاء بأنه لعب دوراً في التدريب البحري والاعداد، او سواء القول بأن جزءاً من حمولة الباطنة كان سيصل اليه في لبنان.

وليس سرا ان اقحام "حزب الله" بموضوع السفينة لاقى انتباهاً سريعاً في واشنطن، التي قالت انها فتحت تحقيقاً في الامر، وليس سرا ايضا ان محاولة ربط الحزب بالارهاب لم تتوقف قط في اسرائيل، التي لم تتوان عن استدراج عروض اميركية - دولية لها لتقوم بحربها الخاصة ضد "الارهابيين" في الضفة والقطاع وجنوب لبنان، ولحشر لبنان وسوريا في زاوية ضيقة وخائفة عبر المعادلات الدولية بعد ١١ ايلول.

* رابعاً: أهداف استراتيجية اقليمية بعيدة المدى، تتمثل تحديداً في محاولة خلق الرياح الدافئة نسبياً، التي تهب على خط واشنطن - طهران على خلفية تعاونهما في افغانستان.

وليس سرا هنا، ان اسرائيل تنظر بكثير من الريبة والقلق الى هذا التعاون المستجد والى التحليلات التي لم تتوان في القول، ان ايران التي كانت العدو المعلن لبين لادن يمكن ان تصبح الحليف الاستراتيجي الاول للولايات المتحدة في العالم الاسلامي.

وهكذا فان زج ايران في موضوع السفينة سواء لجهة تسليح الفلسطينيين او "حزب الله"، انما يهدف عند شارون الى تصوير طهران وكأنها تشن حرباً معاكسة لتحالف الدولي عندما تمضي في تسليح الارهابيين.

كلمة اخيرة: سمعنا كثيراً من التعليقات والمواقف حول قصة "سفينة نوح" باستثناء كلمة مسؤولة من لبنان، الفارق في طوفان الخلافات بين رؤسائه... ولكأننا من خارج هذا "العالم"!

راجح الخوري

